



جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجلة العلمية

الطريق إلى الله تعالى – وسائله ومعوقاته –

(دراسة عقديّة)

إعداد

د/ عبد الله ضيف الله آل حوفان

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

(العدد التاسع عشر ٢٠٢٢ م)

الطريق إلى الله تعالى - وسائله ومعوقاته -

(دراسة عقديّة)

عبد الله ضيف الله آل حوفان

قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: adhofan@uqu.edu.sa

ملخص البحث:

إن الغاية من هذا البحث هي بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى وأهميته ووسائله ومعوقاته، وقد ذكرنا أن الطريق إلى الله تعالى هي السبيل الموصلة لمعرفة الله جل وعلا وحسن عبادته ونيل رضاه.

وأهمية معرفة الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى وكيفية التقرب إليه، وأشرنا لبعض الآيات والأحاديث التي تحت على ذلك وتؤكد عليه، وأن المسافر لا بد له من وسائل ومعينات على السفر تهوئه عليه وتسليه وتخفف عنه، وذكرنا أن منها ما يتعلق بالفكر، ومنها ما يتعلق بالنفس، ومنها ما يتعلق بالقلب، ومنها ما يتعلق بالجوارح، ونبّهنا على المعوقات التي تصدّ عن طريق الله تعالى، وبيّنا أن منها ما يبطل السير، ومنها ما يمنعه بالكلية، ثم ذكرنا بعض تلك المعوقات، وأكّدنا على أن المطلوب هو الاستعانة بهذه الوسائل، وتجنب تلك العوائق من أجل الوصول إلى الحق جل وعلا.

وسبب اختيار هذا الموضوع استشعار أهمية السعي إلى الله جل وعلا، والتوجه له والهجرة إليه، ومعرفة ما يعين على الطريق إلى الله تعالى وما يساعد في الوصول إليه، وبيان المعوقات التي تكتنف الطريق فتمنع السائر أو تشغل المسافر، ومنهجي في البحث أنني رجعت إلى نصوص الوحي وكتب السير، وجمعت منها ما وجدت قواعد في السير إلى الله تعالى، ومهدت بتمهيد ذكرت فيه المراد بالوسائل والعوائق، وبيّنت أهمية

الموضوع وأدلته من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورتبت الوسائل والمعوقات في نقاط متسلسلة، وذكرت في كل نقطة أدلتها من نصوص الوحي وكلام السلف، وختمت بفهرس للمراجع وآخر للموضوعات، واستخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، واقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى تمهيد ومبحثين، أما التمهيد فعنوانه: التعريف بالطريق إلى الله تعالى وبيان أهميته، والمبحث الأول عنوانه: الوسائل المعينة على الطريق إلى الله تعالى، والمبحث الثاني عنوانه: معوقات الطريق إلى الله تعالى، وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

الكلمات المفتاحية: طريق الله، الصراط المستقيم، السير إلى الله، الهجرة إلى الله، المعوقات.

**The way to God Almighty – its means and obstacles –
Abdullah Daif Allah Al Hofan
Department of Creed, College of Da`wah and Fundamentals
of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah, Saudi
Arabia.**

Email: adhofan@uqu.edu.sa

Research Summary:

The aim of this research is to clarify the path leading to God Almighty, its importance, means, and obstacles. We have mentioned that the way to God Almighty is the way that leads to knowing God, the Exalted, the Majestic, the good of worshipping Him and obtaining His approval, and the importance of knowing the path that leads to God's pleasure and how to draw close to Him And that the traveler must have means that facilitate travel for him, amuse him and ease him, and we mentioned that some of them are related to the intellect, and some are related to the soul, and some are related to the heart, and some are related to the extremities We drew attention to the obstacles that are blocked from the path of God Almighty, and explained that some of them slow down the movement,

and some prevent it completely, then we mentioned some of those obstacles We emphasized that what is required is to seek help from these means, and to avoid those obstacles in order to reach the truth.

The reason for choosing this topic is to sense the importance of striving for God Almighty, turning to Him and migrating to Him, knowing what helps on the path to God Almighty and what helps in reaching it, and clarifying the obstacles that surround the road, preventing the walker or preoccupying the traveler, and my method of research is that I returned to the texts of revelation. He wrote biographies, and collected from them what I found rules in walking to God Almighty And it paved the way with a preface in which I mentioned what is meant by means and obstacles, and indicated the importance of the topic and its evidence from the texts of the Noble Qur'an and the pure Sunnah, and arranged the means and obstacles in serial points, and mentioned in each point its evidence from the texts of revelation and the words of the predecessors, and concluded with an index of references and another of topics, and used in this research the inductive approach

The nature of the research necessitated that it be divided into an introduction and two chapters, and the preface is entitled: Defining the path to God Almighty and its importance, and the first topic is entitled: Certain means on the path to God Almighty, and the second topic is entitled: Obstacles to the path to God Almighty, and a conclusion that includes the most important results that he reached researcher.

Keywords: God's way, The straight path, Walking to God, Migration to God Extremities, Obstacles.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: -

فإن الطريق إلى الله تعالى أعظم الطرق، والسبيل إليه أشرف السبل، والكل إليه سائر، وبين يديه صائر.

فما الطريق الصحيحة الموصلة إليه؟ وبم نستعين؟ ومم نخاف؟ وكيف نصل؟. والمسافر العاقل لابد أن يعلم طبيعة الطريق ومراحله ومعوقاته؛ وإلا اكتنفته المخاطر وأشغلته الشواغل، فيتأخر ويتعثر أو ينقطع ويهلك، وكلما كان المرء على علم بالطريق ومعالمه وأحواله: كلما أعدّ العدة وتهيأ للسفر؛ فتطمأن نفسه وتأنس روحه، وينطلق بجد واجتهاد لا يلوي على شيء.

لذا كان هذا البحث المتواضع لبيان شيء من الوسائل المعينة عليه، والمعوقات الطارئة عليه.

أسباب اختيار البحث (مشكلة البحث):

تطرت لهذه الموضوع لعدة أمور، منها :

- (١) - لاستشعار أهمية السعي إلى الله جل وعلا والتوجه له والهجرة إليه.
- (٢) - لمعرفة ما يعين على الطريق إلى الله تعالى وما يساعد في الوصول إليه.
- (٣) - لبيان المعوقات التي تكتنف الطريق فتمنع السائر أو تشغل المسافر. وغيرها من الأسباب.

*** حدود البحث:**

سيكون البحث من خلال نصوص الكتاب والسنة وكلام علماء المسلمين وسيرهم.

*** منهج كتابة البحث :**

- ١- رجعت إلى نصوص الوحي وكتب السير: وجمعت منها ما وجدت قواعد في السير إلى الله تعالى.
 - ٢- مهّدت بتمهيد ذكرت فيه المراد بالوسائل والعوائق، وبيّنت أهمية الموضوع وأدلته من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.
 - ٣- رتّبت الوسائل والمعوقات في نقاط متسلسلة، وذكرت في كل نقطة أدلتها من نصوص الوحي وكلام السلف.
 - ٤- ختمت بفهرس للمراجع وآخر للموضوعات.
- * استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي.

أهمية البحث :

يمكن إجمال أهمية الطريق إلى الله تعالى في النقاط التالية:

- أن العبد منذ خرج لهذه الدنيا وهو سائر لربه جل وعلا، وإليه صائر، فكان لا بد للعاقل من أن يعرف ماهية هذا الطريق، وما المعينات عليه، وما القواطع عنه، قال جل وعلا: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾ (الانشقاق ٦)، فالعبد ملاق ربه بكل ما عمل من عمل^(١).
- أن المولى جل وعلا أرسل أنبياءه ورسله لهداية الخلق إلى صراط الله المستقيم ودلائلهم عليه: قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام ١٥٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٢/٢٤).

ويوصي الرب جل وعلا نبيه موسى ﷺ فيقول: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل لك إلى أن تزكى (١٨) وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ (النازعات ١٦ - ١٩).

- أن السير في الطريق الصحيح إلى الله تعالى سبب للطمأنينة والأنس؛ فالعبد إذا تيقن من أنه على الطريق السليم والصرائط المستقيم: اطمأن واستأنس واجتهد في السير، لا سيما مع ما يرى من تخبط بعض الناس واضطراب أمرهم^(١)، قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (الرعد ٢٨).

- أن في بيان ما يعين على الطريق: تسهيل للسلوك فيه وترغيب في الاستمرار فيه.
- أن في توضيح عقبات الطريق ومعوقاته: نصح للساير وتنبيه له؛ حتى لا يقف في وسط الطريق أو يتأخر في الوصول لمبتغاه.
- غفلة كثير من المسلمين عن هذا الباب وقلة الاهتمام به مع أهميته وتأثيره فيما سواه.

- غلبة المادية في هذا العصر وانحسار الاهتمام بالإيمانيات والجوانب الروحية.
- كثرة المخالفين ممن كتب فيه، وخاصة من المتصوفة.

* خطة البحث:

تمهيد: التعريف بالطريق إلى الله تعالى وبيان أهميته.

المبحث الأول: الوسائل المعينة على الطريق إلى الله تعالى ، ويشتمل على :

المطلب الأول: الوسائل المتعلقة بالفكر.

المطلب الثاني: الوسائل المتعلقة بالنفس.

المطلب الثالث: الوسائل المتعلقة بالقلب.

(١) شفاء العليل ص ٨١ .

المطلب الرابع: الوسائل المتعلقة بالجوارح.

المبحث الثاني: معوقات الطريق إلى الله تعالى ، ويشتمل علي :

المطلب الأول : الذنوب والمعاصي عامة .

المطلب الثاني : ذنوب القلوب خاصة.

المطلب الثالث الجهل.

المطلب الرابع : ضعف الهمة.

المطلب الخامس : الشيطان.

المطلب السادس : الاغترار بالدنيا والتعلق بها وبأهلها والغفلة عن الله تعالى

وما عنده .

المطلب السابع : فضول الكلام والنظر والطعام والنوم والمخالطة.

المطلب الثامن : الوقوع في الشبهات والتعرض لمواضع الفتن.

المطلب التاسع : الصحبة السيئة .

الخاتمة : تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

المصادر والمراجع .

التمهيد

التعريف بالطريق إلى الله تعالى

• المعنى اللغوي:

الطريق: السبيل، يذكر ويؤنث. تقول: الطريق الاعظم، والطريق العظمى، والجمع أطرقة وطرق^(١).

والله تعالى يقول: ﴿ وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن ١٦)، أي: وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة لوسعنا عليهم في الرزق، وبسطناهم في الدنيا^(٢). فالطريق: بمعنى السبيل والمنهاج والصراط والسُنن.

• المعنى الاصطلاحي:

(الطريق إلى الله تعالى): هي السبيل الموصلة لمعرفة الله جل وعلا وحسن عبادته ونيل رضاه.

يقول ابن رجب رحمه الله: [والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم، الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه]^(٣) ويقول ابن الأثير رحمه الله: [فالسبيل: في الأصل الطريق... وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات]^(٤).

ويقول ابن القيم رحمه الله: [العبد من حين استقرت قدمه في هذا الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كُتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان

(١) ينظر: الصحاح للجوهري (٤/١٥١٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٦٦٢).

(٣) المحجة في سير الدلجة ص ٤٢٥ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٣٣٨-٣٣٩).

في هذه الدار إلى ربه تعالى، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره: فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر^(١).

فهو: بيان للطريق الموصل لرضى الحق تبارك وتعالى، والسبيل إلى النجاة من الزيغ والضلال عن هذا السبيل.

وهو قريب من مصطلح السلوك، الذي هو بمعنى: تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن^(٢)، ومنازل السالكين: هي مراحل السير التي يسلكها السائر في طريقه حتى يصل إلى الله تعالى.

• وقد جاءت كثير من النصوص في بيان الطريق إلى الله جل وعلا وأهمية السلوك فيه وما يعين عليه:

وقد جاءت على أوجه متنوعة، ومنها ما يلي:

- النصوص التي تدل على أن الدنيا قصيرة زائلة، يقطعها المؤمن ليلقى الله تعالى وما أعدّه لعباده الصالحين: يقول تبارك وتعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ (الأنعام ٣٢)

ويقول سحرة فرعون لفرعون بعد أن هددهم بالقتل: ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ (طه ٧٢-٧٣)

- النصوص التي تبين حياة الإنسان عبارة عن مراحل يقطعها مرحلة بعد مرحلة:

(١) طريق الهجرتين ص ١٨٥ .

(٢) هذا كلام أبي حامد الغزالي في المقصد الأسنى ص ١٥٥ .

قال تعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ (غافر ٦٧).

وقال جل وعلا: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (المؤمنون ١٢-١٦).

- النصوص التي تذكّر المؤمن بأنه في الدنيا في حال سفر، وأنه سائر لدار أخرى غير هذه الدار:

يقو ابن عمر رضي الله عنهما: ((أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))^(١).

ويقول ﷺ: ((ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استنزلت تحت شجرة ثم راح وتركها))^(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله: [المثال الخامس: للدنيا وأهلها ما مثلها به النبي كظل شجرة، والمرء مسافر فيها إلى الله، فاستنزل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها، فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء: فإنها في خضرتها: كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئا فشيئا: كالظل، والعبد مسافرا إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤١٦).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٧٧) وابن ماجه في سننه برقم (٤١٠٩).

ولا يتخذها قراراً؛ بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق [١].

- النصوص التي تؤكد بأن نهاية هذا المسير هو القدوم إلى الله تعالى، وأن إليه المرجع، وعليه الحساب:

قال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد ٢٠)

ويقول تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمانت وأحيا﴾ (النجم ٣٩-٤٤).

ويقول الرسول ﷺ: ((...كل الناس يغدو، فبايع نفسه: فمعتقها أو موبقها))^(٢). وابن القيم رحمه الله يقول: [﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾: فليس وراءه سبحانه غاية تُطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى، وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد: وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحب ويُراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين]^(٣).

- النصوص التي تنصّ على السير إلى الله تعالى والهجرة إليه:
يقول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ (الصافات ٩٩).

(١) عدة الصابرين ص ١٩٦ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٣) الفوائد ص ٢٠٢ .

وقال مرة: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾ (العنكبوت ٢٦).
وكذلك يدخل فيه كل النصوص التي في الهجرة، كقوله تعالى: ﴿ومن يهاجر في
سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحیما﴾
(النساء ١٠٠).

المبحث الأول

الوسائل المعينة على الطريق إلى الله تعالى

لابد في الطريق إلى الحق جل وعلا من وسائل وأمور تعين على السفر وتهوّن عليه وتسليّ وتخفف؛ فالطريق طويلة والصوارف كثيرة، وقد حذر الرب جل جلاله عباده من الاغترار بالدنيا والانشغال بها فقال: ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ (فاطر ٥).

وكذب المنافقين في زعمهم الرغبة في الخروج للجهاد مع النبي - ﷺ - فقال: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (التوبة ٤٦).

والنبي - ﷺ - يقول: ((من خاف: أدلج، ومن أدلج: بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))^(١).

فالمسافر الحق والسائر الصادق: يتخذ كل الوسائل ليقطع الطريق ويبلغ المنزل، كما قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها .: عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به .: ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها .: روح اللقاء فتحيا عند ميعاد^(٢)

* وهناك وسائل تعين السائر في الطريق، سنقسّمها إلى وسائل مختلفة، منها وسائل تتعلق بالفكر، وأخرى بالنفس، وثالثة بالقلب، ورابعة باللسان والجوارح.

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٥٠) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٨٥٥) والحاكم في المستدرک برقم (٧٨٥١).

(٢) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ١٩٨ .

المطلب الأول

الوسائل المتعلقة بالفكر

هناك وسائل عديدة للسير إلى الله تعالى تتعلق بالفكر، وسنذكر منها خمس

وسائل، وهي كما يلي :

١ - العلم بالطريق:

فكيف يقطع الطريق من لم يعرف طبيعته ومراحله وما يكتنفه؟ وكيف يصل إلى الله جل وعلا من لم يتعرّف عليه وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله؟ وكيف يسافر المسافر بلا زاد يقيم أودّه وراحة توصله؟.

فلا بد من معرفة طبيعة الطريق وحقيقة المسار إليه وما يلزم من متاع يمكن المسافر من الوصول للمنزل وبلوغ الغاية.

وقد بوّب البخاري رحمه الله في كتاب العلم من جامعه الصحيح: [باب: العلم قبل القول والعمل لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ محمد: ١٩ فبدأ بالعلم]^(١).

والمسافر على غير هدى: لا يصل إلى هدف ولا يبلغ غاية، والله جل وعلا لما أهبط أبويناهما عليهما السلام إلى الأرض قال: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة ٣٨).

والنبي ﷺ يقول: ((تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه))^(٢).

(١) الجامع الصحيح (١/٢٤).

(٢) رواه مالك في الموطأ برقم (١٦١٩) والحاكم في المستدرک برقم (٣١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧).

ويقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: [تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه: ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾]^(١).

٢ - العزيمة الصادقة والهمة العالية:

وقد حكى المولى جل وعلا حال المؤمنين الصادقين وحال المنافقين الكاذبين فقال: ﴿ لا يستأنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾ (التوبة ٤٤-٤٥).

ولما سأل ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه النبي ﷺ مرافقته في الجنة، قال له: ((أعني على نفسك بكثرة السجود))^(٢).

ومن أراد شيئاً سعى إليه، قال تعالى وهو يصف أحوال الناس: ﴿ إن سعيكم لشتى * فأمّا من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأمّا من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى ﴾ (الليل ٤-١٠).

وبيّن المصطفى ﷺ من يريد الجنة ومن لا يريدّها فيقول: ((كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني: دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى))^(٣).

• وأهل الهمة العالية: هم المجدّون المشمّرون، قال تعالى: ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلّة من الأولين * وقليل من الآخرين ﴾ (الواقعة ١٠-١٤).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢٥/١٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٩).

(٣) رواه البخاري في جامعه الصحيح برقم (٧٢٨٠).

٣- العمل بالعلم والاستمرار عليه:

فغاية العلم والعمل، قال تعالى في وصف عباده: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ (الزمر ١٨).
ودعا للاستجابة للوحي فقال عز من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ (الأنفال ٢٤).

ووعد المستقيمين على الطريق بالسلامة من الخوف والحزن فقال: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأحقاف ١٣).

وعاتب من لم يعمل بعلمه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف ٢-٤).

وأكد أن العمل بالعلم من أعظم ما يثبت العبد: فقال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا﴾ (النساء ٦٦).

ولما قال أحد الصحب الكرام للنبي ﷺ: ((قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم))^(١).

وقد فهم ذلك الصحابة العظام والسلف الكرام: يقول عبدالله بن مسعود ؓ: [كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن] ٢، ولما

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٣٨) بلفظ (قل: آمنت بالله، فاستقم) لكن لفظه في كثير من النسخ (ثم استقم).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٨٠/١). وبلفظ قريب منه: رواه الحاكم في المستدرک برقم (٢٠٤٧) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٨٠١ - ١٨٠٢).

سأل شابُّ أم الدرداء رضي الله عنها فأكثر السؤال: قالت له: [أتعمل بكل ما تسأل عنه؟ فقال: لا ، فقالت: فما ازديادك من حجة الله عليك]^(١).

• الاستمرار في الطريق: فكيف يصل من وقف؟ ، وكيف يبلغ المنزل من انقطع؟
والله جل وعلا لم يجعل حداً للعمل سوى الموت: قال تعالى: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (الحجر ٩٩).

وأوصى عباده بالتقوى والاستمرار على طريق الحق حتى تأتي ساعة الوفاة: قال جل وعلا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (آل عمران ١٠٢) ، والرسول الكريم ﷺ يقول: ((واعلموا أن أحب العمل إلى الله: أدومه وإن قلَّ))^(٢).

وكيف سيصل السائر إلى الله تعالى إذا حاد عن الطريق أو توقف عن المسير؟
ويبين لنا المولى جل وعز السبيل إلى محبته وولايته فيقول كما في الحديث القدسي:
((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))^(٣).

٤ - التركيز على أفضل الأعمال:

فالأعمال متفاوتة، والعبادات مختلفة، وقد سئل المعصوم ﷺ: ((أيُّ العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور))^(٤).

(١) رواه أحمد بن حنبل في الزهد برقم (٩٨٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨١٨).

(٣) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٥٠٢).

(٤) رواه البخاري في جامعه برقم (٢٦) ومسلم في صحيحه برقم (٨٣).

ومرة سئل ﷺ: ((أيُّ العمل أحب إلى الله؟ فقال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدّثني بهنّ، ولو استزدته لزداني)) (١).

بل حتى الذنوب تتفاوت وتختلف في عظمها: فقد سأل ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ: ((أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك، تخاف أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟...)) (٢).

وعن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها قالت: ((أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهنّ: سبحان الله وبحمده: عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)) (٣).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله العقبات التي يضعها الشيطان للعبد ثم قال: [فإن نجا منها بفقّه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤسها، وسيدها ومسودها؛ فإن في الأعمال والأقوال سيّداً ومسوداً، ورئيساً ومرؤساً، وذروة وما دونها، كما في الحديث الصحيح: سيد الاستغفار أن يقول العبد: ا اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت... الحديث (٤)، وفي الحديث الآخر: الجهاد ذروة سنام

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٢٧) ومسلم في صحيحه برقم (٨٥).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٤٤٧٧) ومسلم في صحيحه برقم (٨٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٢٦).

(٤) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٣٠٦).

الأمر^(١) ...، ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولى العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه^(٢).

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله: [لا يُتقرب إلى الله سبحانه وتعالى إلا بطاعته، وطاعته فعل واجب أو مندوب وترك محرم أو مكروه، فمن تقواه: تقديم ما قدّم الله سبحانه وتعالى من الواجبات على المندوبات، وتقديم ما قدّمه من اجتناب المحرمات على ترك المكروهات، وهذا بخلاف ما يفعله الجاهلون الذين يظنون أنهم إلى الله سبحانه وتعالى متقربون وهم منه متباعدون: فيُضيع أحدهم الواجبات حفظاً للمندوبات، ويرتكب المحرمات تصوّناً عن ترك المكروهات، ولا يقع في مثل هذا إلا ذوو الضلالات وأهل الجهالات^(٣).

٥ - زاد الطريق:

فلا بد للطريق من زاد، وقد أمر جل وعلا بالتزود لسفر الحج، ثم نبّه على التزود لسفر الآخرة فقال: ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ (البقرة ١٩٧).

ولما ذكر جل وعلا لباس الجسد الظاهر: عرّج على لباس الروح فقال: ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ (الأعراف ٢٦).

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث معاذ ؓ برقم (٢٢٠٥١) والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٧٧٩٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٢٢٥).

(٣) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ص ١٣ .

وقد عاب جل وعلا على المنافقين عدم إعدادهم لعدة السفر فقال: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (التوبة ٤٦) ، وهذا سفر الدنيا، فكيف بالسفر الأكبر والمقصد الأعلى؟! هو أولى بالتزود.

وقد دلّنا جل وعلا على ما يحبه من عبده السائر إليه: فقال كما في الحديث القدسي: ((وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...))^(١). فالواجب: أداء الفرائض، ثم الاجتهاد في النوافل قدر الاستطاعة.

ودعا تبارك تعالى أوليائه الصالحين بالتقرب إليه بأنواع القرب والتوسل إليه بها: قال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ (المائدة ٣٥).

ووصف أنبياءه فقال: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء ٧٣)

وأثنى على عباده بالمسارعة في طاعته فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ (الأنبياء ٩٠) .

ولما ذكر السعي للآخرة قال: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (آل عمران ١٣٣) ، وفي السعي للدنيا قال: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك ١٥) ، فالمسارعة لعمل الآخرة، والمشي لعمل الدنيا.

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٥٠٢).

وذكر الله تعالى حرصهم على العمل: سراً وعلانية، فقال عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر ٢٩) .

ولم يقتصر حالهم على المسارعة في الطاعات؛ بل تعدّاه إلى التحسر على فواتها والبكاء عند العجز عنها قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنفِقُونَ﴾ (التوبة ٩١-٩٢) .

يقول الحسن البصري رحمه الله: [إن المؤمن جمّع إحساناً وشفقةً، وإن المنافق جمّع إساءةً وأمناً]^(١).

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (٩٨٥).

المطلب الثاني

الوسائل المتعلقة بالنفس

هناك وسائل عديدة للسير إلى الله تعالى تتعلق بالنفس، وسنذكر منها ثلاث وسائل، وهي كما يلي:

١ - العلم بطبيعة النفس وصفاتها وكيفية التعامل معها:

فيعرف ما يناسبها وما لا يناسبها، ويعرف ما تحب وما تكره، ويعرف لأي أبواب الطاعة تميل؛ والله جل وعلا يقول: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾، والنبى ﷺ يقول: ((اعملوا، فكلّ ميسرّ لما خلق له))^(١).

وعوتب ابن مسعود ؓ على عدم إكثاره من صيام النفل فقال: [إني أختار الصلاة عن الصوم فإذا صمت ضعفت عن الصلاة]^(٢).

يقول الحسن البصري رحمه الله: [لا يزال الرجل بخير ما علم بالذي يُفسد عليه عمله]^(٣).

وقد كتب عبد الله العُمري العابد إلى مالك رحم الله الجميع: [يحضه إلى الانفراد والعمل، ويرغب به عن الاجتماع إليه في العلم، فكتب إليه مالك: أن الله عز وجل قَسَمَ الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتِحَ له في الصلاة ولم يُفْتَحَ له في الصوم، وآخر فُتِحَ له في الصدقة ولم يُفْتَحَ له في الصيام، وآخر فُتِحَ له في الجهاد ولم يُفْتَحَ له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٤٩٤٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٧).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١١٥/٣).

(٣) رواه أحمد بن حنبل في الزهد برقم (١٥٨٥).

ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قُسم له، والسلام^(١).

٢ - مداراة النفس والتدرج معها:

فالتدرج مطلب شرعي: والله جل وعلا يقول: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن ١٦).

ويقول ﷺ: ((سدودا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا))^(٢).

ويوصي أمته فيقول: ((إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق))^(٣). والمعنى: سيروا فيه من غير تكلف ولا تحمل ما لا يطاق.

والتدرج ظاهر في نزول آيات القرآن: فنزلت آيات الترغيب والترهيب ثم بعد ذلك نزلت آيات الحلال والحرام.

والنعمان بن بشير ﷺ يقول: ((كان رسول الله ﷺ يُسوِّي صفوفنا، حتى كأنما يُسوِّي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوماً فقام، حتى كاد يكبر، فرأى رجلاً بادياً صدره من الصف، فقال: عباد الله لتُسُون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم))^(٤). فالنبي ﷺ تدرّج في تعليم الصحابة تسوية الصفوف، واستمر فترة حتى ظن أنهم فهموا الأمر، ثم لما رأى مخالفة: توعّد.

• ولا بد للطريق من استراحات: تريح البدن والروح من كلال السير وتجدد النشاط وتروّح القلب، ومعلومة وصية النبي ﷺ لحنظلة ﷺ لما رام أن يكون جميع حاله

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٨٥/٧).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤٦٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده من حديث أنس ﷺ برقم (١٣٠٥٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٣٦).

كحاله عندما يكون مع رسول الله ﷺ فقال له: ((والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر: لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات))^(١).

ويقول ﷺ: ((إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تَبْغِضْ إلى نفسك عبادة الله تعالى، فإنَّ المُنْبِتَ: لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى))^(٢). والمعنى: أن من أراد قطع الطريق الطويل بلا راحة: فلا قطع الأرض ووصل لمبتغاه، ولا أبقى راحلته فماتت عليه في الطريق، يقول ابن الأثير رحمه الله: [(المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى): يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته: قد انبت، من البت: القطع... وبقي في طريقه عاجزاً عن مقصده، لم يقضِ وطَّره، وقد أعطب ظهراً]^(٣).

وقد قال علي ؑ: [رَوَّحُوا الْقُلُوبَ؛ فَإِنَّهَا إِذَا أُكْرِهَتْ: عَمِيَتْ]^(٤).

ويقول وهب بن منبه رحمه الله: [إن في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفْضِي فيها إلى إخوانه الذين يُخْبِرُونَهُ بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يُخَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عونٌ على هذه الساعات وإجمامٌ للقلوب]^(٥).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٠).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (١١٧٨) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٧٤٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٩٢/١).

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٧٦/٤).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (٣١٣) ومعمّر بن راشد في الجامع برقم (١٩٧٩٠).

٣- تعاهد النفس ومحاسبتها:

والمقصد هو الاهتمام بها والتنبه لما يعرض لها وتوجيهها لما ينفعها وتجنبها ما يضرّها، وأن يكون ذلك صفة دائمة وخصلة لازمة للسائر في طريقه إلى الله، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت ٦٩).

ويقول تعالى في الحديث القدسي: ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...))^(١). فالمسألة مجاهدة واستمرار في التقرب.

وقد أقسم الله جل وعلا أحد عشر قَسَمًا على أن الفالح من زكّى نفسه وطهرّها، والطالح من دسّ نفسه ودنّسها، فقال عز من قائل: ﴿قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دساها﴾ (الشمس ٩-١٠).

وعندما عدّد الغزالي رحمه الله آداب المتعلم والمعلم جعل أولها: [تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف؛ إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار: فكذا لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف]^(٢).

• فالواجب محاسبة النفس وكشف ما له وما عليه؛ يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: [أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفوس في ما سلف في الأعمال وفيما يستقبل منها]^(٣).

فالله تعالى مع عبده في كل حال: يراه ويسمعه ويعلم أحواله، قال عز شأنه: ﴿الم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٥٠٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٤٨/١).

(٣) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ص ١٨ .

ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿ (المجادلة ٧).

ولما سئل النبي ﷺ عن الإحسان قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه
فإنه يراك))^(١).

ويقول ﷺ ((الكيس: من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز: من أتبع
نفسه هواها وتمنى على الله))^(٢).

ويذكر الفاروق ﷺ فوائد المحاسبة وثمارها يقول: [حاسبوا أنفسكم قبل أن
تُحاسبوا، فإنه أهون - أو قال: أيسر - لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا،
وتجهزوا للعرض الأكبر: ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ الحاقّة ١٨]^(٣).

والمرء أعرف بنفسه وقلبه: يقول الحسن البصري رحمه الله: [العبد لا يزال بخير
ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه]^(٤).

فلا بد من تعاهد القلب، يقول مالك بن دينار رحمه الله: [إن الصدق يبدو في القلب
ضعيفاً، كما يبدو نبات النخلة يبدو غصناً واحداً، فإذا تَنَفَّها صبي: ذهب أصلها، وإن
أكلتها عنز: ذهب أصلها، فُتَسْقَى فتنتشر، وتُسْقَى فتنتشر، حتى يكون لها أصل أصيل
يوطأ، وظل يُستظل به، وثمره يُؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفاً فينتفقه
صاحبه ويزيده الله تعالى، ويتفقدده صاحبه فيزيده الله، حتى يجعله الله بركة على نفسه،
ويكون كلامه دواء للخاطئين، قال: ثم يقول مالك: أما رأيتموهم؟، ثم يرجع إلى نفسه

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٠) ومسلم في صحيحه برقم (٨).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٥٩) وابن ماجه في سننه برقم (٤٢٦٠).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (٣٠٦) وابن أبي شيبة في المصنف برقم
(٣٥٦٠٠).

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٥/٢).

فيقول: بلى والله لقد رأيناهم: الحسن، وسعيد بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يُحيي الله بكلامه الفئام من الناس^(١).

* ومما يعين على محاسبة النفس: الخلوة بها والتفكير في حالها وما يعرض لها ومحاسبتها، وقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يخلو بنفسه: فكان يكره الحديث بعد صلاة العشاء^(٢) وكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله^(٣).
يقول وهب بن منبه رحمه الله: [إن في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه....]^(٤).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٧٤/١).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٤٧).

(٣) رواه البخاري في جامعه برقم (٢٠٢٦) ومسلم في صحيحه برقم (١١٧٢).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (٣١٣) ومعمّر بن راشد في الجامع برقم (١٩٧٩٠).

المطلب الثالث

الوسائل المتعلقة بالقلب

هناك وسائل عديدة للسير إلى الله تعالى تتعلق بالقلب، وسنذكر منها ست وسائل، وهي كما يلي:

١ - التفكير في حقيقة الدنيا والآخرة:

فالدنيا تغرّ العبد وتشغله عن السير وتلهيه عن الطريق، وكثيراً ما حذرنا الرب جل وعلا من الاغترار بالدنيا وبيّن لنا هوانها وسرعة انقضائها، قال تبارك وتعالى: ﴿اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد ٢٠).

وقال ﷺ: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليمّ فلينظر بم يرجع؟))^(١).

وتأمل سحرة فرعون كيف قارنوا بين فناء الدنيا وخلود الآخرة حينما توعدهم فرعون: بقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم: فقالوا: ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى * إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء لمن تزكى﴾ (طه ٧٢-٧٦).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٥٨) .

يقول سفیان الثوري رحمه الله: [قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: حب الدنيا: رأس كل خطيئة]^(١).

ومن كان في سفر: فلا ينبغي له أن يلتفت عن الطريق ولا ينشغل عن السير، قد ترك طول الأمل للبطلين الغافلين، حاله كحال نبيه الكريم ﷺ حينما نام على حصير فأثر في جنبه الشريف، فقيل له: ((يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها))^(٢).

وقد حذر النبي ﷺ من طول الأمل، وبيّن أنه لا يشيب ولو شاب صاحبه، فقال: ((لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل))^(٣).

ولما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله: [متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة]^(٤).

وقال الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك لأبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله: [يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخرجتم آخريتم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب، قال سليمان: صدقت يا أبا حازم، كيف القدوم على الله تعالى؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه محزوناً]^(٥).

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٨٨/٦).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٧٧) وأحمد في مسنده برقم (٣٧٠٩).

(٣) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤٢٠).

(٤) رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢٩٣/١).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد برقم (٣٠٥٤).

فالموت ما دُكر في كثير إلا قلّله، ولا في عظيم إلا صغّره، يزهد في الفاني، ويرغب في الباقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثروا ذكر هادم اللذات، يعني الموت))^(١).

وعلى شفير قبر قال الحسن البصري رحمه الله: [إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وأن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره]^(٢).

والمراد ألا تشغلنا الدنيا عن طاعة أو تزيّن لنا معصية: يقول عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم رحمه الله: [قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني، قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حُبِّي الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعتب نفسي على حب شيء حبه الله تعالى إليّ؛ لأن الله عز وجل قد حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا: أن لا يدعونا حُبّها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرُّنا حُبُّنا إيَّاه]^(٣).

٢- اليقين بأن العباد سائرون وإلى الله صائرون:

فلا وقوف في الطريق: فالسائر إلى الله جل وعلا إما في تقدّم وإما في تأخّر، فالوقت يمضي والأجل يقترب، قال تعالى وهو يذكر النار: ﴿ إنها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ (المدثر ٣٥-٣٧).

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى باستئناف العمل بعد الفراغ: فقال: ﴿ فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب ﴾ (الشرح ٧-٨).

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٥٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في المدهش ص ١٩٠.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٤/٣).

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول إذا قعد يُذكَر: [إنكم في مَمَرٍ من الليل والنهار، في آجال منقوضة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً: فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً: فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع]^(١).

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: [مررت برجل من العُباد بالبصرة وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أبكي على ما فرطت من عمري، وعلى يوم مضى من أجلي: لم يحسن فيه عملي]^(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله: [فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي، إلى الجنة أو إلى النار، فمُسْرِع ومُبْطِئ، ومُتَقَدِّم ومُتَأَخِّر، وليس في الطريق واقف ألبتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير وفي السرعة والبطء]^(٣).

• وهذا الطريق لا ينقطع إلا بالموت: فالناس كلهم سائرون إلى الله جل وعلا، فالله تعالى يقول: ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ (الانشقاق ٦).
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل الناس يغدو: فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها))^(٤). فالكل سائر لخالفه، ولاق ما عمل.

والله تبارك وتعالى لم يجعل وقتاً لانقطاع الطاعة إلا بالموت: قال تعالى: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (الحجر ٩٩).

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤٠٨/١).

(٢) رواه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (٣٣٧٦).

(٣) مدارج السالكين (٢٦٧/١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

وينبه ابن القيم رحمه الله إلى أن العبد ما دام في هذه الحياة فينبغي عليه أن يذكر أنه مسافر إلى ربه، ويبذل الجهد ويقطع الطريق ويتابع المسير: يقول رحمه الله: [العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل سفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر، فالكيّس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالماً غانماً، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه ويمتد أمله ويحصر بالتسويق والوعد والتأخير والمطل، بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة، فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرتة، فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها: هان عليه العمل، فطوعت له نفسه الانقياد إلى التزويد^(١).

٣- الاهتمام بأعمال القلوب:

فالقلب أساس، والجوارح تبع؛ كما قال المعصوم ﷺ: ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))^(٢).

يقول بكر المزني رحمه الله: [إن أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه]^(٣).

وتأمل حال عمر ﷺ وقد سبقه للإسلام رجال، لكنه سبقهم في الفضل؛ فكان خیرهم بعد الصديق ﷺ .

(١) طريق الهجرتين ص ٢٨٨.

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٥٩٩).

(٣) رواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة برقم (١١٨).

وقد قال النبي ﷺ وهو راجع من غزوة تبوك: ((إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر))^(١). شركوهم الأجر لما شركوهم الجهاد بقلوبهم. وبه تُقطع الطريق وتتفاوت الأعمال: يقول ابن رجب رحمه الله: [فأفضل الناس: من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية؛ فإن سفر الآخرة يُقطع بسفر القلوب لا بسفر الأبدان]^(٢). والعمل القليل من القلب المخلص خير من العمل الكثير من القلب المرائي: قال تعالى: ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾ (البقرة ٢٦٣).

• ومن هذه الأعمال: محبة الله تعالى: وقد ذكر الله تعالى حبه لعباده المؤمنين وحبهم له فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (المائدة ٥٤). ويقول ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار))^(٣).

وعامر بن عبد قيس رحمه الله كان يقول: [لقد أحببت الله حباً سهلاً عليّ كل مصيبة، وأرضاني بكل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت]^(٤).

(١) رواد البخاري في جامعه برقم (٤٤٢٣).

(٢) المحجة في سير الدلجة ص ٤١٥ .

(٣) رواد البخاري في جامعه برقم (١٦) ومسلم في صحيحه برقم (٤٣).

(٤) رواد ابن أبي الدنيا في الأولياء برقم (٧١).

• ومنها: الخوف من الله تعالى: وقد وصف الله تعالى عباده فقال: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ (الإسراء ٥٧).

وأنهم جمعوا بين العمل والخوف: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلّة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (المؤمنون ٦٠-٦١).

• ومنها: الحياء من الله تعالى: فالله تعالى صاحب الفضل والإتعام والإكرام كان يستحق من عباده أن يعبدوه ويشكروه، وأن يطيعوه ولا يعصوه، قال تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ (الإفطار ٦-٨).

ويقول النبي ﷺ: ((استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة: ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك: فقد استحيا من الله حق الحياء))^(١).

وبكى الأسود بن يزيد رحمه الله لما احتضر فقيل: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع؛ والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله: لأهمتي الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير، فيعفو عنه، فلا يزال مستحياً منه^(٢).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٥٨) وأحمد في مسنده من حديث ابن مسعود ؓ برقم (٣٦٧١).

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٢/٤) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٤/٣).

٤ - تجريد التوحيد لله تعالى:

أعظم العلوم وأشرف المعارف: العلم بالله تعالى وما يتعلق به، والله جل و علا خلق الخلق ليعرفوه ويوحّدوه ويعبدوه، وهذه هي الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه إهمال لما خلق له. ولا يليق بعبد أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن كان بالله أعرف كان له أخوف وبه أوثق وفيه أرجى وإليه أرغب، وقد قال يعقوب عليه السلام لأولاده: ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (يوسف ٨٦).

وجاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: [يا أبا عبد الرحمن: أي الأعمال أفضل؟ قال: العلم، ثم سأله: أي الأعمال أفضل؟ قال: العلم، قال: إنما أسألك عن أفضل الأعمال، وأنت تقول: العلم! قال: ويحك، إن مع العلم بالله تعالى ينفعك قليل العمل وكثيره، ومع الجهل بالله لا ينفعك قليل العمل ولا كثيره]^(١).

ويقول عتبة الغلام رحمه الله: [من عرف الله: أحبه، ومن أحبه: أطاعه]^(٢). فمن علم بعظمة الله تعالى وكبريائه: ركن له وآوى إليه، ومن علم برحمته ورأفته ومغفرته: توجّه إليه وفرح به، ومن علم بكرمه وجوده: أمل فيه ورجا ما عنده، ومن علم بقوته وشدة عقابه: خاف أن يعصيه أو يتجاوز أمره، ومن علم باطلاعه وسمعه وبصره: استأنس به واستحى أن يراه حيث نهاه أن يفقده حيث أمره، ومن علم بحكمته وعلمه: سلّم أمره إليه وفوض شأنه إليه^(٣).

(١) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى برقم (٤٦٦).

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦٣/٧).

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٠٨٦/٢).

الأمر أمره، والحكم حكمه، والأرض أرضه، والكون ملكه، بيده مقاليد السموات والأرض، على كل شيء قدير، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ (الحج ١٨).

يختص برحمته من يشاء، يرزق من يشاء، يهدي من يشاء، يضل من يشاء، يغفر لمن يشاء، يعذب من يشاء، ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (يس ٨٢).

الملك ملكه والسلطان سلطانه ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ (آل عمران ٢٦) ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ (فاطر ٢).

الخير كله في يديه، والشر ليس إليه ﴿ وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ (يونس ١٠٧).

فمتى أيقن المسافر بكل ذلك: اطمأنت نفسه واثبت قلبه، وواصل الطريق لا يلو على شيء، هدفه واضح، وواجباته معلومة، ولا وقوف إلى بين يدي الكريم جل وعلا.

٥ - **حسن الظن بالله تعالى والأنس به والشوق إلى لقاءه والطمع فيما عنده والتوكل عليه:**

فخليل الله ﷺ يقول: ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ (الحجر ٥٦).

ويعقوب ﷺ يقول: ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (يوسف ٨٧) .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: [ما أحب أن حسابي جُعِلَ إلى والديّ، ربي خيراً لي من والديّ]^(١)، وصدق سفيان؛ فالنبي ﷺ رأى امرأة وجدت ولدها في السبي وقال: ((الله أرحم بعباده من هذه بولدها))^(٢).

والأنس به والشوق إلى لقاءه: قال تعالى في عباده المؤمنين: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد ٢٨)
وكان من دعائه ﷺ: ((وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلّة...))^(٣).

وكان أبو عبيدة الخواص رحمه الله يقول: [واشوقاه لمن يراني ولا أراه]^(٤).
• والطمع فيما عنده: لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ (الأنعام ١٧).
بيده الرزق وله الحكم وإليه المصير: قال تعالى: ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ﴾ (الشورى ١٩).

وعندما نفرّ من الله تعالى: لن نجد أرحم منه؛ فنفرّ منه إليه، قال تعالى: ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ (الذاريات ٥٠).
ويدعو موسى ﷺ ربه فيقول: ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ (القصص ٢٤).

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله برقم (٣٧).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٩٩٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٤).

(٣) رواه النسائي في سننه الكبرى برقم (١٢٢٩) وأحمد في مسنده برقم (١٨٣٢٥) والحاكم في المستدرک برقم (١٩٢٣).

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٦١/٤) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٧٥/٤).

وأوصى ابن قدامة رحمه الله أحد إخوانه قائلاً: [واعلم أن من هو في البحر على لوح: ليس هو بأحوج إلى الله تعالى وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله؛ فإن الأسباب التي ظهرت له بيد الله تعالى، كما أن أسباب نجاة هذا الغريق بيده، فإذا حققت هذا في قلبك فاعتمد على الله - عز وجل - اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله تعالى]^(١).

كتب بكر بن المعتمر إلى أبي العتاهية من السجن يشكو إليه القيد وغم الحبس، فكتب إليه أبو العتاهية:

هي الأيام والعبرُ . . . وأمرُ الله يُنتظَرُ
أتياسُ أن ترى فرجاً؟! . . . فأين الله والقدر؟!^(٢).

• وصدق التوكل عليه: وصدق التوكل على الله تعالى مصدره: اليقين بعلم الله الكامل بعبده وقدرته الشاملة على نفعه وضره، فإبراهيم الخليل عليه السلام يترك أهله بواد غير ذي زرع ثم يدعو ربه: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (إبراهيم ٣٧).

ويوصي النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما فيقول: ((يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله: يحفظك، احفظ الله: تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء: لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء: لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف))^(٣).

(١) الوصية ص ٦٥ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ص ٢١٩ .

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٥١٦) وأحمد في مسنده برقم (٢٦٦٩).

ويقول ابن القيم رحمه الله: [تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولي، فلا تظن أن الشيطان غلب؛ ولكن الحافظ أعرض^(١)].

٦ - الزهد في الدنيا والتخفف منها والاشتغال بما ينفع:

فالأصل أن الدنيا دار ممرّ، وأن يكون العبد فيها كأنه غريب أو عابر سبيل، وأنى لمثل هذان أن يرغب في الدنيا أو أن يجعل زخارف الدنيا نصب أعينهما، قال تعالى: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (القصص ٧٧). وقد بيّن الخالق جل وعلا حقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة التي يجب أن يعمل العبد لها، قال تعالى: ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (العنكبوت ٦٤).

وقد أخذ النبي ﷺ بمنكب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثم قال له: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))، وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)^(٢).

وينبّه ﷺ إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وليس غنى المال، فيقول: ((ليس الغنى عن كثرة العرّض؛ ولكن الغنى غنى النفس))^(٣).

ويشير النبي ﷺ إلى ما يساعد على الزهد في الدنيا فيقول: ((انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزددوا نعمة الله عليكم))^(٤).

(١) الفوائد ص ٦٨ .

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤١٦).

(٣) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤٤٦) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٥١) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٣) .

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: [ارتحلت الدنيا مُدبرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل]^(١).

فلا يعقل أن مسافراً يهتم لدار الفناء ويهمل دار البقاء، يقول أبو بكر بن عياش رحمه الله: [إن أحدهم لو سقط منه درهم: نزل يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، ولا يقول: ذهب يومي، ما عملت فيه]^(٢).

• الاشتغال بما ينفع وترك ما لا ينفع: فالمسافر إذا انشغل بغير مقصوده: تأخر في الوصول، هذا إن وصل، فلا تشغله زخارف الحياة، قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (لقمان ٣٣).

وينبّه جل وعلا كل عبد بأنه المسؤول عن نفسه لا عن غيره، فيقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (المائدة ١٠٥).

ويقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((احرص على ما ينفعك))^(٣). ومفهوم المخالفة: لا تحرص على ما لا ينفعك.

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه))^(٤).

- (١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (٢٥٥) و أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٦/١) .
- (٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٣/٨).
- (٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤).
- (٤) رواه الترمذي في جامعه الكبير برقم (٢٣١٧) وابن ماجه في سننه برقم (٣٩٧٦) وأحمد ففي مسنده من حديث الحسين عليه السلام برقم (١٧٣٢).

وقال أحمد بن حنبل لحاتم الأصم رحم الله الجميع: [أخبرني يا حاتم فيم استخلص من الناس؟ قال: يا أحمد في ثلاث خصال، قال: وما هي؟ قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً، وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحداً منهم حقاً لك، وتحتمل مكروههم ولا تكره أحداً على شيء، قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعه على الأرض، ثم رفع رأسه، ثم قال: يا حاتم إنها لشديدة، فقال له حاتم: وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ]^(١).

(١) رواها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد برقم (٤٢٩٨).

المطلب الرابع

الوسائل المتعلقة بالجوارح

هناك وسائل عديدة للسير إلى الله تعالى تتعلق بالجوارح، وسنذكر منها خمس

وسائل، وهي كما يلي:

١ - كثرة ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم:

فمن أحب شيئاً لهج بذكره، وكثرة ذكر الشيء تُعلّق النفس والجوارح به، وقد وصف تعالى عباده المؤمنين فقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد ٢٨).

وأوصى به موسى وهارون عليهما السلام فقال عز من قائل: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ (طه ٤٢).

ومن فضائل ذكر الله جل وعلا: قال تعالى: ﴿فاذكروني أنكرم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ (البقرة ١٥٢).

ومن شرف الذاكر لله تعالى: أن الله تعالى يذكره: قال ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشير: تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً: تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي: أتيتته هرولة))^(١).

وكثرة الذكر سبب للفلاح، قال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة ١٠).

ولما طلب موسى ﷺ من ربه جل وعلا أن يجعل معه أخاه هارون وزيراً: ذكر الغاية من ذلك فقال: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً﴾ (طه ٢٩-٣٤).

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٧٤٠٥) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥).

ومنه: الاستغفار يقول - ﷺ -: ((من لَزِمَ الاستغفار: جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب))^(١).

ويبين نوح ﷺ لقومه فوائد الاستغفار فيقول: ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ (نوح ١٠-١٢).

وقال: ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ (هود ٥٢).

وهو أمان من العذاب: قال تعالى: ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (الأنفال ٣٣).

يقول بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: [إنكم تستكثرون من الذنوب: فاستكثروا من الاستغفار، وإن الرجل إذا أذنب ذنباً ثم رأى إلى جنبه استغفاراً: سرّه مكانه] ٢.

• قراءة القرآن وتدبره: يقول ﷺ: ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (٥٧) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (يونس ٥٧-٥٨).

وسمّاه الله تعالى روحاً ونوراً ، ولا غنى للإنسان عن الروح، فهي سبب الحياة ، ولا عن النور، فهو سبب الهداية، يقول جل وعلا: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ (الشورى ٥٢).

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (١٥١٨) وابن ماجه في سننه برقم (٣٨١٩).

(٢) رواه أحمد في الزهد برقم (١٨٥٢).

بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى وهو من أعظم ما يثبت المؤمن عند الفتن، قال تعالى: ﴿ قل نزله روح القدس من ربك للمسلمين ﴾ (النحل ١٠٢)، وقال عز من قائل: ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾ (الفرقان ٣٢).

يقول عثمان ؓ : [لو طهّرت قلوبكم: ما شبعتم من كلام الله عز وجل]^(١).

٢ - الدعاء وطلب الهداية والثبات:

فالهداية اختيار من الله تعالى وتفضّل منه: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص ٥٦). والإضلال بيده جل وعلا: ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ (المائدة ٤١).

يقول أنس ؓ : ((كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: يا مقلب القلوب: ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله: أمانا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يُقلبها كيف يشاء))^(٢). والسائر إلى الله تعالى في طريق سفر؛ ولا يستغني المسافر عن العون والمساعدة، والعبد محتاج لربه في كل حركة وسكنة، يقول المعصوم ؑ : ((دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت))^(٣).

(١) رواه أحمد بن حنبل في الزهد برقم (٦٨١).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٤٠) وأحمد في مسنده برقم (١٢١٠٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٥٠٩٠) وأحمد في مسنده من حديث أبي بكر ؓ . (٢٠٤٣٠).

وقد أمرنا الله جل وعلا بالدعاء ووعدنا بالإجابة: فقال عز من قائل: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (غافر ٦٠).

ويقول النبي ﷺ: ((ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة: إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذا نُكِّر، قال: الله أكثر))^(١).

ويقول الله جل وعلا كما في الحديث القدسي: ((يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي: كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي: كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم...))^(٢).

وذكر التجاء المؤمنين قبلنا إليه ودعائهم له: فذكر دعاء الخليل عليه السلام حين قال: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (إبراهيم ٣٨-٤١).

وذكر قول يعقوب عليه السلام لما فقد ولديه: ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (يوسف ٨٦).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٥٧٣) . وبلفظ قريب منه: رواه أحمد في مسنده من

حديث أبي سعيد الخدري عليه السلام برقم (١١١٣٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٧٧).

وقول موسى الكليم ﷺ لما عاقب الله تعالى قومه بالرجفة: ﴿ قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ (الأعراف ١٥٥).

وذكر دعاء بعض من وقع في الذنب فقال: ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف ١٤٩).

وقد أخبرنا رسول الهدى ﷺ بالحاجة إلى الدعاء أثناء الطريق فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق))، ثم أنبأنا عن العلاج فقال: ((فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم))(١).

فالدعاء وصدق اللجأ إلى الله تعالى خير معين في الطريق وخير صاحب في السفر.

٣- الصلاة:

وقد جعلتها مع الوسائل لما ورد في النصوص من الاستعانة بها، وقد وصّى الله تعالى بها بني إسرائيل فقال: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ (البقرة ٤٥).

وأمر بها أمة محمد ﷺ فقال جل وعلا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ (البقرة ١٥٣).

وأوصى بها نبيه الكريم إذا ضاق صدره بما يقول الكافرون: قال تعالى: ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (الحجر ٩٧-٩٩).

(١) رواه الحاكم في المستدرک برقم (٥) والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٤٦٦٨).

وحث عليها المستضعفين من عباده فقال جل شأنه: ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ (النساء ٧٧).

والنبي ﷺ كان إذا حزبه أمر: صلى^(١)، ومعنى (حزبه): أي إذا نزل به مهم أو أصابه غم^(٢)، وكان ﷺ يقول: ((يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها))^(٣). فهي المعين على تهوين مشاق الطريق، ومحطة يستراح فيها من عناء السفر وضجر السير.

وهي الوصية التي تدور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام: فالخليل عليه السلام يدعو ربه قائلاً: ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (إبراهيم ٣٧).

وشعيب عليه السلام يقول له قومه وقد أمرهم بالصلاة: ﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لآنت الحليم الرشيد ﴾ (هود ٨٧).

وأوصى بها موسى عليه السلام حين كلمه: ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ (طه ١٣-١٤).

وسليمان عليه السلام يضرب أعناق خيله وسوقها؛ لما أشغلته عن الصلاة: ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد * فقال

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (١٣١٩) وأحمد في مسنده من حديث حذيفة عليه السلام برقم (٢٣٢٩٩).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٣٧٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٩٨٥) وأحمد في مسنده من حديث رجل من أسلم عليه السلام برقم (٢٣٠٨٨).

إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردها علي فطفق مسحاً
بالسوق والأعناق ﴿ (ص ٣٠-٣٣)

وعيسى عليه السلام: بها أوصاه جل وعلا: ﴿ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ (مريم ٣١).

ومن مزايا الصلاة: أنها مكان تنزل الرحمات والخيرات: فزكريا عليه السلام طلب من الله
تعالى الولد: ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة
وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين ﴾.

ومريم عليها السلام كانت تتعبد في بيت الله تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن
وأنبأها نبأنا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا
مريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (آل
عمران ٣٧).

ومن مزايا الصلاة أنها تنهى عن كل شر: قال تعالى: ﴿ اتل ما أوحى إليك من
الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما
تصنعون ﴾ (العنكبوت ٤٥).

وهي التي تطهر العبد من الخطايا: قال النبي ﷺ: ((رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم
يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئاً،
قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا))^(١).

وقد دعا النبي ﷺ على من أشغله عن الصلاة يوم الخندق فقال: ((ملأ الله
قبورهم وبيوتهم ناراً، كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس))^(٢).

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٢٨) ومسلم في صحيحه برقم (٦٦٧).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٣٩٦).

وبقدر إضاعتها يكون أتباع بالشهوات: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ (مريم ٥٩).

٤ - الصبر:

فالطريق طويل والسير شاق، قال تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ (البلد ١-٤).

وقد بين الله جل وعلا أن الابتلاء واقع والتمحيص حاصل: فقال عز شأنه: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (العنكبوت ٢-٣).

فالصبر ضروري في كل أمور العبد؛ فكيف بالسير إلى الله تعالى والسفر إليه؟! قال تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى ٤٣)، وقال جل وعلا: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (الأحقاف ٣٥).

وقال تعالى عن أئمة الدين: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة ٢٤).

لا تياسن وإن طالّت مطابفة .: إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته .: ومدمن القرع للأبواب أن يلجا^(١)
ويكفي الصابرين محبة الله تعالى ومعيتته: قال تعالى: ﴿والله يحب الصابرين﴾
(آل عمران ١٤٦)، وقال: ﴿والله مع الصابرين﴾ (البقرة ٢٤٩).

وبه أوصى موسى ﷺ قومه عندما زاد بلاؤهم بفرعون: قال تعالى: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون * قال موسى لقومه استعينوا بالله

(١) ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٣٦٥ ونسبها لمحمد بن بشير.

واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿ (الأعراف ١٢٧-١٢٨).

وبه أوصى الرب جل وعلا عباده عند مواجهة أذية الكفار، وأخبر أنه من عزائم الأمور: ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (آل عمران ١٨٦).

وأخبر تعالى أن الصبر سبب الفلاح فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (آل عمران ٢٠٠).

وقال عز من قائل: ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (العصر ١-٣).

وأوصى به تعالى نبيه الكريم وأخبره أنه سبب للرضى: قال تعالى: ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى * فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ (طه ١٢٩-١٣٠).

يقول عبدالرحمن السعدي رحمه الله: [أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوّض عن ذلك ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت ذلك: ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر] ^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٦ .

٥- الصّحة الصّالحة:

فالسفر شاق، والطريق طويل، ولا بد فيه من صاحب؛ يؤنس ويذكر، يبشّر ويحذّر، وقد سأل موسى ﷺ ربه جل وعلا مُعيناً على الطاعة ومؤنساً في الطريق فقال: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾ (القصص ٣٤).

فأجابته ربه فقال: ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبيون﴾ (القصص ٣٥).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن النبي ﷺ قال: يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ (مريم ٦٤))^(١).

ويصف لنا ابن عباس رضي الله عنهما حال النبي ﷺ فيقول: ((كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة))^(٢). فهذا أثر الصاحب على خير الخلق، فغيره من باب أولى.

وقد أمر الله عباده بأن يكونوا مع الصادقين والراكعين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة ١١٩)، وقال: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (البقرة ٤٣).

وأمر بالهجرة للأرض التي يستطيع العبدُ عبادة الله فيها: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ (العنكبوت ٥٦).

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٧٤٥٥).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٦).

وأمر الله تعالى حبيبه وخليه ﷺ بصحبة الصالحين ومراعاة النفس في ذلك، وحذّره من أن يتجاوزهم إلى الغافلين: فقال عز من قائل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ (الكهف ٢٨).

وكان معاذ ﷺ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه^(١).

وكان للحسن البصري رحمه الله مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها، تبرّم به، وقال: إنما خلّونا مع إخواننا نتذاكر^(٢).

* وكان العلماء يحثّون عليها: يقول الفاروق ﷺ: [ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح... إذا رأى أحدكم ودّاً من أخيه فليتمسك به؛ فقلّما تصيب ذلك]^(٣).

ويقول ابن شوذب رحمه الله: [إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك: أن يواخي صاحب سنة، يحمله عليها]^(٤).

* وصحبة الصالحين: تحت على الطاعة وتُحذّر من المعصية: وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: [إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكّروننا بالدنيا، وإخواننا يذكّروننا بالآخرة]^(٥).

(١) رواه أبو عبيد في الإيمان ص ٢٤ وابن أبي شيبة في الإيمان برقم (١٠٧) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٧٩/٤).

(٣) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٦٠/٢).

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية برقم (٤٤).

(٥) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٧٦/٢).

ويقول سفيان الثوري رحمه الله: [ليس شيء أبلغ في فساد رجل وصلحه: من صاحب]^(١).

وكانوا يحزنون لفوات الصاحب الصالح: يقول إبراهيم الحربي رحمه الله لجماعة عنده: [من تعدون الغريب في زمانكم؟] فقال رجل: الغريب من نأى عن وطنه. وقال آخر: الغريب من فارق أحبائه. فقال إبراهيم: الغريب في زماننا: رجل صالح: عاش بين قوم صالحين: إن أمر بمعروف: آزره، وإن نهى عن منكر: أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا: مانوه، ثم ماتوا وتركوه]^(٢).

* والصحبة جزء من المجتمع، فكلما كان المجتمع معيناً ومؤازراً: كان السير أسرع والنفس أشرح، وسنذكر من معوقات الطريق: (البيئة المحيطة بالعبد)، فالمجتمع والبيئة المحيطة قد تكون وسيلة مساعدة في السير وقد تكون معوقاً عنه، ومعلومة قصة قاتل المئة حينما أراد أن يتوب، فقال له العالم: ((انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم...))^(٣)، فتأمل كيف كانت البيئة المحيطة به تدفعه للقتل والشر، فتنبّه لذلك العالم فأمره بالخروج منها، وحثّه على التوجه لأرض بها أناس يعبدون الله فيعبد الله معهم.

فالقرب من أهل الخير: غنيمة، قال ﷺ عن الجليس الصالح: ((إما أن يُحذّيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة))^(٤)، إما أن يُهديك من طيبه أو يبييعك أو تجد رائحة الطيب عنده؛ فأنت معه في ربح وخير.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية برقم (٥٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٦٢/١٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٦).

(٤) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٥٣٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٨).

* ويدخل في الصحبة والبيئة: كل من تقرأ له أو تسمع عنه، ولو كان في مكان آخر أو زمان مختلف؛ فقد ذكر الرب جل وعلا أن قصص الرسل: مما يُنبت به أوليائه: فقال: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ (هود: ١٢٠).
وأوصى جل وعلا نبيه الكريم ﷺ فقال: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (النحل: ١٢٣).
ويقول حمدون القصار رحمه الله: [من نظر في سير السلف: عرف تقصيره وتخلّفه عن درجات الرجال]^(١).

• ومما يزيد الأمر أهمية: قلة السالكين للطريق: فالسالكون قليل فلا تستوحش، والواقفون والمنحرفون كثير فلا تغتر، وكثيراً ما وصف الله تعالى المؤمنين بالقلّة، والعاصين والغافلين بالكثرة^(٢): قال تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ (ص: ٢٤)، وقال: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ (الأعراف: ١٠٢)، ويقول: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (الأنعام: ١١٦).
وقال المصطفى ﷺ: ((بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء))^(٣).

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: [أتبع طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين]^(٤).

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣١٤/٢).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين ص ١٨٤ وإغاثة اللهفان (٦٩/١) كلاهما لابن القيم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٥).

(٤) ذكره الشاطبي في الاعتصام (١٣٦/١).

المبحث الثاني

معوقات الطريق إلى الله تعالى

السائر إلى طريقه إلى الله تعالى كثيراً ما تلهيه الملهيات وتعرضه المعوقات وتقطعه الشواغل عن طريقه أو تؤخره عن بلوغ مراده، والعاقل من يتنبه لهذه العوائق والقواطع: فيتجنبها أو يعدّ العدة للتعامل معها، ولما ذكر ابن القيم رحمه الله السائر إلى الله تعالى وحاجته للقوة العلمية والقوة العملية قال: [ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سيره إلى الله تعالى ورجى له النفوذ وقوي على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته، فإن القواطع كثيرة شأنها شديد لا يخلص من حبالها إلا الواحد بعد الواحد، ولولا القواطع والآفات لكانت الطريق معمورة بالسالكين، ولو شاء الله لأزالها وذهب بها، ولكن الله يفعل ما يريد، والوقت كما قيل سيف فإن قطعته وإلا قطعك، فإذا كان السير ضعيفاً والهمة ضعيفة والعلم بالطريق ضعيفاً، والقواطع الخارجة والداخلية كثيرة شديدة فإنه جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب فيأخذ بيده ويخلصه من أيدي القواطع]^(١).

وبيّن ابن القيم رحمه الله منشأ كل هذه العوائق والحجب فقال: [وهذه الحجب تنشأ من أربعة عناصر: عنصر النفس وعنصر الشيطان وعنصر الدنيا وعنصر الهوى، فلا يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في القلب البتة، وهذه الأربعة العناصر تفسد القول والعمل والقصد والطريق بحسب غلبتها وقتها]^(٢).

وقد جمعها الشاعر حين قال:

إني بليت بأربع ما سَأَطْتُ . . . إلا لعظْم بليّتي وشِقائِي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى . . . كيف التخلص من أيدي أعدائي^(٣)

(١) طريق الهجرتين ص ١٨٥ .

(٢) مدارج السالكين (٣/٢٢٤).

(٣) ذكرها ابن الجوزي في بحر الدموع ص ٨٢ .

* وسنذكر تسعة من هذه المعوقات، وهذا تفصيل الكلام فيها:

المطلب الأول

الذنوب والمعاصي عامة

فالذنوب سبب كل بلاء: يقول ﷺ: ((لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها: إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، وقرأ: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾))^(١).

وقال جل وعلا: ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾ (المائدة ٤٩).

فالذنوب تقطع الطريق وتُشغل النفس عن السير وتعمي القلب: قال تبارك وتعالى: ﴿ كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (المطففين ١٤)، ويفسره قول المصطفى ﷺ: ((تُعْرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً: فأَيُّ قلب أُشْرِبها: نُكِّتَ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها: نُكِّتَ فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر: أسود مريداً، كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشْرِب من هواه))^(٢)، يقول الحسن البصري رحمه الله: [ران على قلوبهم]: الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت]^(٣).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٢٥٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨٧/٢٤).

ويوسف عليه السلام عرضت له المعصية فقال: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (يوسف ٣٣).

والذنوب سبب للعقوبات: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: [إن للسيئة: سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق]^(١).

ويقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: [إنما هانوا عليه فعصوه، ولو كرموا عليه: لمنعهم منها]^(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله: [والسيئات تطفئ نور القلب، وقد أخبر الله عز وجل أن كسب القلوب: سبب للران الذي يعلوها، وأخبر أنه أركس المنافقين بما كسبوا: فقال: ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾، وأخبر أن نقض الميثاق الذي أخذ على عباده: سبب لتقسية القلب: فقال: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾، فجعل ذنب النقض موجباً لهذه الآثار من تقسية القلب واللعنة وتحريف الكلم ونسيان العلم]^(٣).

يقول عبدالله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب .: . ويتبعها الذل إيمانها
وترك الذنوب حياة القلوب .: . وخير لنفسك عصيانها^(٤)

(١) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب ص ٣٠ .

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦١/٩).

(٣) مدارج السالكين (٢٧/٢)

(٤) ديوان ابن المبارك ص ٢٢ .

وكثرة رؤية المنكرات قد يقوم مقام ارتكابها: يقول ابن النحاس رحمه الله: [قد تقوم كثرة رؤية المنكرات مقام ارتكابها في سلب القلب نور التمييز والإنكار؛ لأن المنكرات إذا كثرَ على القلب ورودها، وتكرر على العين شهودها: ذهبت عظمتها من القلوب شيئاً فشيئاً، إلى أن يراها الإنسان فلا يخطر بباله أنها منكرات، ولا يُميّز بفكره أنها معاصي؛ لما أحدث تَكرارُها من تأليف القلب لها]^(١).

والذنوب سبب لمنع الخيرات: قيل للحسن البصري رحمه الله: [يا أبا سعيد: إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري: فما بالي لا أقوم؟ قال: ذنوبك قيّدتك]^(٢).

وينبغي الحذر حتى من صغائر الذنوب: يقول ﷺ: ((ياكم ومُحَقَّرات الذنوب؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه))^(٣).

ويقول أنس ﷺ: [إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر: إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات]^(٤).

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) ذكرها أبو طالب المكي في قوت القلوب (٧٥/١) والغزالي في إحياء علوم الدين (٣٥٦/١).

(٣) رواه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود ﷺ برقم (٣٨١٨) والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٢٠٧٦٢) والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٠٥٠٠).

(٤) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٤٩٢).

المطلب الثاني

ذنوب القلوب خاصة

فالقلوب تمرض وتعتل، ويعرض لها ما يعرض للجسد، وقد ذكر الله تعالى أنها: تمرض وتفسو وتزيغ وتعمى^(١)، وقد ذكر جل وعلا ما يعترها من: السران والحجاب والتغليّف^(٢)، وما تُعاقب به من الصرف والطبع والفقل^(٣)، ومن أمراضها: الكبر والحسد والحقد والغش والغل، وأتباع الهوى وطول الأمل، والرياء، والبخل والشح، وحب الرئاسة وحب المدح، والتسخط وسوء الظن واليأس من رحمة الله.

وتكمن خطورة فساد القلب: أنه سبب لفساد باقي الجوارح؛ فهو الأصل وهي الفرع، وهو الملك وهم الجنود يقول ﷺ: ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))^(٤).

ويقول جل وعلا: ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ (محمد ٢٩)، فما في القلب من مرض سيظهر على الجوارح.

والله تعالى يقول: ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (الأعراف ١٤٦).

(١) ينظر على الترتيب: (البقرة ١٠) و (البقرة ٧٤) و (الصف ٥) و (الحج ٤٦).

(٢) ينظر على الترتيب: (المطففين ١٤) و (الأنفال ٢٤) و (البقرة ٨٨).

(٣) ينظر على الترتيب: (التوبة ١٢٧) و (الأعراف ١٠٠) و (محمد ٢٤).

(٤) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٥٩٩).

ويقول بلال بن سعد رحمه الله: [لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر من عصيت]^(١).

يقول الغزالي رحمه الله: [يقول الرسول ﷺ : ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب))^(٢): والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها: كلاب نابحة، فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة]^(٣).

(١) ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد برقم (١٦٣٣).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٣٣٢٢) برقم ومسلم في صحيحه برقم (٢١٠٦).

(٣) إحياء علوم الدين (١/٤٩).

المطلب الثالث

الجهل

فالجَهِل أصل كل بلاء ورأس كل شقاء: فهو الذي يورد العبد المهالك؛ وإلا فكيف لعالم أن يُشرك بالله تعالى عبداً له أو يبتدع في دين أكمله الله أو ينشغل عن الغاية التي خُلق لأجلها أو يأمن لدنيا زائلة أو يؤمّل في ضعيف فان.

وبيّن هود عليه السلام لقومه أن الجهل هو سبب ضلالهم: ﴿قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ (الأحقاف ٢٣).

وأخبرنا الحق جل وعلا عن قوم موسى عليه السلام فقال: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ ، فكان جوابه لهم: ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ (الأعراف ١٣٨).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة: كثرة الجهل وقلة العلم فقال: ((إن من أشرط الساعة: أن يُرفَع العلم، ويثبَت الجهل))^(١).

يقول ابن الجوزي رحمه الله: [الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدین بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يُحكّم العلم]^(٢).

(١) رواه البخاري في جامعه الصحيح برقم (٨٠).

(٢) تلبس إبليس ص ١٢١ .

المطلب الرابع

ضعف الهمة

فالذي يرضى بالدون ويألف الهون: لا حيلة فيه، وإلا فالدين مراتب ثلاث، بعضها فوق بعض، والسابقون هنا في الدنيا هم السابقون هناك في الآخرة، والجنة مائة درجة.

قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شننا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف ١٧٥-١٧٦).

ويحثنا ﷺ على سؤال أعلى درجة فيها فقال: ((إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلّوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة))^(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: [إنما تفاوت القوم بالهم لا بالصور، نزول همّة الكسّاح: دلّاه في جُبِّ العذرة] ^(٢).

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٧٤٢٣).

(٢) الفوائد ص ٥٠ .

المطلب الخامس

الشیطان

فهو العدو الأول والخصم الأخطر قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (فاطر ٦).

وحذر من اتباع خطواته وبيّن غاياته فقال عز من قائل: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (البقرة ١٦٨-١٦٩).

وقال: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف ١٦-١٧).

وقال جل وعلا عنه: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (النساء ١٢٠).

فينبغي على العاقل أن يحذر ويتنبّه لمداخل الشيطان وخطواته: وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم فقال: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون ٩٧-٩٨).

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: [وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه؟]^(١).

ويذكر ابن القيم رحمه الله تقصير العلماء المتأخرين في بيان مداخل الشيطان على الخلق ومكائده فيقول: [والمتأخرون من أرباب السلوك لم يعتنوا به اعتناءهم بذكر

(١) رواد اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (١٧١٠).

النفس وعيوبها وآفاتها، فإنهم توسعوا في ذلك، وقصروا في هذا الباب. ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيدته ومحاربته أكثر من ذكر النفس...^(١).

(١) إغاثة اللفهان (٩٠/١).

المطلب السادس

الاغترار بالدنيا والتعلق بها وبأهلها والغفلة عن الله تعالى وما عنده

وقد حذرنا جل وعلا من الاغترار بالدنيا والانشغال عن الإعداد لليوم الذي نسير إليه ونحاسب فيه: فقال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْفُورَ رَبِّكُمْ وَأَحْشَوْنَ يَوْمًا لَا يُجْزَى وَالِدُّ عَنْ وَلِيهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان: ٣٣

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (المنافقون ٩).

وقال عز من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴿(الحشر ١٨-١٩).

ووصف لنا المصطفى ﷺ الحال التي ينبغي أن نكون عليها: يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك))^(١).

ويقول عبد الله بن مسعود ؓ: ((نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاء، فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا

(١) رواد البخاري في جامعه برقم (٦٤١٦).

إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها))^(١)

ونبهه على ما يترتب على الالتهاء بالدنيا والتنافس فيها فقال: ((فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم))^(٢).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٧٧) وأحمد في مسنده برقم (٣٧٠٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٣١٥٨) ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٦١).

المطلب السابع

فضول الكلام والنظر والطعام والنوم والمخالطة

والمقصد: الزيادة من كل شيء: سواء كانت في الكلام أو النظر أو الطعام أو النوم أو المخالطة؛ فكل شيء زاد من هذه الأشياء؛ فإنه يؤثر على صاحبه: فتتشغل جوارحه ويفسد قلبه وينقطع عن مواصلة السير.

ومن أسباب شرح الصدور: ترك فضول النظر والكلام والمخالطة والأكل والنوم.

• **فضول الكلام:** سواء كان في الحديث فيما لا ينفع: فقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))^(١).

أو فيما فيه إثم أو ضرر كالكذب والغيبة والنميمة والنياحة والفحش والسب واللعن والسخرية والمراء والخصومة وإيذاء الخلق وهتك العورات: يقول معاذ بن جبل ﷺ: ((يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: " ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل " قال: ثم تلا ﴿تجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كُفَّ عليك هذا...))^(٢). فتأمل أن ملاك الدين كله: حفظ اللسان وضبط الكلام.

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٦٠١٨) ومسلم في صحيحه برقم (٤٧).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٦١٦) وابن ماجه في سننه برقم (٣٩٧٣) وأحمد في مسنده (٢٢٠١٦).

ومنه: كثرة المجادلة، يقول مالك رحمه الله: [كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله]^(١).

ويقول الشاطبي رحمه الله: [وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماء ما تكلم فيها ولا حدّث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عن تقدّمه أنهم كانوا يكرهون ذلك]^(٢).

• **فضول النظر:** سواء كان فيما لا ينفع: كما في قوله تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ (طه ١٣١).

أو فيما فيه إثم أو ضرر: كالنظر للنساء غير المحارم: قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ (النور ٣٠-٣١).

وقد سمّاه ﷺ زنى العين فقال: ((كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبِهِ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الأَسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زَنَاها البَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاها الخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ))^(٣).

فإطلاق النظر فيما لا نفع فيه أو ما فيه إثم: يُشغِل القلب ويصرف الفكر، وكم نظرة قد أَلقت في قلب صاحبها البلايل.

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٩٣).

(٢) الموافقات (١٧١/٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٧).

• **فضول الطعام:** ويكفي فيه حديث المصطفى ﷺ حين قال: ((ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقْمَنُ صلبه، فإن كان لا محالة: فثَلثَ طعامه، وثَلثَ لشرابه، وثَلثَ لنفسه))^(١).

وفضول الطعام يُضعف عن العبادة ويجلب النوم ويُحرِّك إلى المعاصي، والنبي ﷺ حثَّ من لم يستطع النكاح على الصوم، وبيَّن الغاية من ذلك بأنه له (وجاء) ٢، قال ابن حجر رحمه الله: [وهو رضُ الخصيتين، وقيل: رضُ عروقهما، ومن يُفعل به ذلك تنقطع شهوته، ومقتضاه: أن الصوم قامع لشهوة النكاح]^(٣).

ويقول الفضيل بن عياض رحمه الله: [خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل]^(٤).

ويقول الشافعي رحمه الله: [الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف عن العبادة]^(٥).

• **فضول المخالطة:** السائر في طريق لا يُشغل نفسه أو يصرف بصره عن مراده وغايته، ومخالطة الناس - ما لم يكن فيها نفع - من الشواغل والصوارف، قال تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (الأنعام ١١٦).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٨٠) وابن ماجه في سننه برقم (٣٣٤٩).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (١٩٠٥) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٠٠).

(٣) فتح الباري (١١٩/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٠/٨).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦/١٠).

وكثيراً ما يذكر عباده بالغاية التي خلقهم لأجلها، ويحذّرهم من الاغترار بها فيقول: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (الحديد ٢٠-٢١).

يقول ابن القيم رحمه الله: [وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر: أحدها: من مخالطته كالغذاء، لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة...، والقسم الثاني: من مخالطته كالدواء، يُحتاج إليه عند المرض...، القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه...، القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء]^(١).

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٧٤-٢٧٥).

المطلب الثامن

الوقوع في الشبهات والتعرض لمواضع الفتن

فالأصل هو حفظ الجوارح عن المحرمات وإشغالها بالواجبات، والسلامة لا يعدلها شيء، ودرء المفسد مقدّم على جلب المصالح، والحق تعالى لم ينه عن الفواحش فحسب؛ بل نهى حتى عن قربانها فقال: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ (الأنعام ١٥١).

ولذا جاء النهي عن القعود مع المستهزئين بالدين: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (الأنعام ٦٨).

والمصطفى ﷺ يقول: ((إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات: استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى: يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...))^(١).

ويقول ﷺ: ((إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بُدُّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غص البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر))^(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٥٩٩).

(٢) رواه البخاري في جامعه برقم (٢٤٦٥) ومسلم في صحيحه برقم (٢١٢١). وينظر: فتح الباري لابن حجر (١١٣/٥).

وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول: [ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رُزقَ بعد ذلك خيراً: فهو خير إلى خير^(١).]

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٠/٤٥) وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢٥٤/١).

المطلب التاسع

الصحبة السيئة

فللبينة أثرها البين في حث السائر إلى الله تعالى وتحفيزه أو تثبيطه وإعاقته، وخير مثال لذلك: صحابة رسول الله ﷺ : حيث وجدوا في خير عصر: فكانوا خير القرون، يقول ﷺ: ((فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قيل: يا رسول الله: أجر خمسين رجلاً منا أو منهم، قال: بل أجر خمسين رجلاً منكم))^(١).

وقال عن ملكة سبأ: ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ (النمل ٤٣).

وقد حذر المولى جل وعلا أوليائه من صحبة أهل السوء أو الجلوس معهم فقال: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ (النساء ١٤٠).

وقال جل وعلا: ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (هود ١١٣) .

ومعلومة قصة قاتل المئة حينما أراد أن يتوب، فقال له العالم: ((انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء))^(٢)، وحديث الجليس السوء الذي قال فيه النبي ﷺ : ((مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير...، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٠٥٨) وأبو داود في سننه برقم (٤٣٤١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٦).

ريحاً خبيثة ((^(١)).

ومن أمثلة التأثير بصحبة المبتدع: ما قاله الذهبي رحمه الله: [كان جهم على معبر ترمذ، وكان فصيح اللسان، لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم، فكلم السُّمِّيَّة، فقالوا له: صف لنا ربك عز وجل الذي تعبده؟- فدخل البيت لا يخرج منه، ثم خرج إليهم بعد أيام فقال: هو هذا الهوا مع كل شيء ، وفي كل شيء ، ولا يخلو منه شيء]^(٢).

ونقل لنا قول أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله: [وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً]، ثم علق عليه بقوله: [قلت: كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبى حتى وقع في حبالهم، وتجسّر على تأويل النصوص، نسأل الله السلامة]^(٣).

(١) رواه البخاري في جامعه برقم (٥٥٣٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٨).

(٢) العلو للعلي الغفار ص ١٥٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٧/١٩).

الخاتمة

فقد توصلت في ختام هذا البحث إلى بعض النتائج، أجمالها فيما يلي:

- ١- الطريق إلى الله تعالى: هي السبيل الموصلة لمعرفة الله جل وعلا وحسن عبادته ونيل رضاه.
- ٢- أهمية معرفة الطريق الموصل إلى الله تعالى، وأن جميع الخلق إليه سائرون، وبأعمالهم ملاقون.
- ٣- أن لكل طريق معينات تعين عليه، ومعوقات تعيق عنه.
- ٤- لا بد للمسافر من وسائل ومعينات على السفر تهوئته عليه وتسليته وتخفيف عنه.
- ٥- الوسائل المعينة في الطريق إلى الله تعالى: منها ما يتعلق بالفكر، ومنها ما يتعلق بالنفس، ومنها ما يتعلق بالقلب، ومنها ما يتعلق بالجوارح.
- ٦- المعوقات التي تعيق عن الطريق إلى الله تعالى: منها ما يؤخر السير، ومنها ما يمنع بالكلية.
- ٧- المطلوب هو الاستعانة بهذه الوسائل، وتجنب تلك العوائق من أجل الوصول إلى الحق جل وعلا.

• التوصيات:

- الاهتمام بالموضوع كتابةً وتدريباً وتطبيقاً في الحياة.

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة، تحقيق: عثمان الأثيوبي ورضا نعيان ويوسف الوابل وحمد التويجري، دار الراجعية، الرياض، ط٢/١٥١٥هـ.
٢. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت٥٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.
٣. أدب الدنيا والدين لعلي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، نشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي، نشر: مكتبة المعارف، الرياض.
٥. الأولياء لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/١٣١٤هـ.
٦. الإيمان لابن أبي شيبه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢/١٩٨٣م.
٧. الإيمان ومعالمه وسننه لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٨. بحر الدموع لابن الجوزي، تحقيق: جمال محمود مصطفى، نشر: دار الفجر للتراث، ط١/٢٥١٤هـ.
٩. بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: علي العمران، نشر: دار عالم الفوائد، مكة، ط١/٢٥١٤هـ.
١٠. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/٢٢١٤هـ.
١١. تاريخ دمشق لابن عساکر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

١٢. تلبيس إبليس لابن الجوزي، نشر: دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٢١هـ.
١٣. التمهيد لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
١٤. تنبيه الغافلين لابن النحاس الدمشقي، تحقيق: عماد الدين عباس، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٧ هـ.
١٥. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ.
١٦. جامع البيان لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ.
١٧. الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط١/١٤٢٢هـ.
١٨. جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧/١٤٢٢هـ.
١٩. الجامع الكبير للترمذي، تحقيق: بشار عواد، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/١٣٨٤هـ.
٢١. الجامع لمعمر بن راشد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي بباكستان، ط٢/١٤٠٣ هـ.
٢٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، نشر: دار المعرفة، المغرب، ط١/١٤١٨هـ.
٢٣. حسن الظن بالله عز وجل لابن أبي الدنيا، تحقيق: فاضل الحمادة، نشر: دار أطلس الخضراء، الرياض، ط١/١٤٣٣ هـ.

٢٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، نشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
٢٥. ديوان أبي العتاهية، نشر: دار بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢٦. ديوان الإمام عبدالله بن المبارك، تحقيق: سعد كريم الفقي، نشر: دار اليقين، مصر.
٢٧. الزهد لأحمد بن حنبل، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، نشر: دار ابن رجب، ط ٢٠٠٣/٢ م.
٢٨. الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. السنة لابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية.
٣٠. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٤/٣هـ.
٣١. السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٢١/١هـ.
٣٢. السنن لأبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٣٣. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٥/٣هـ.
٣٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإلكاني، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط ١٤١٥/٣هـ.
٣٥. شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط ١٤٢٣/١هـ.
٣٦. شفاء العليل لابن القيم، نشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٧. الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/١٤٠٧هـ.
٣٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي.
٣٩. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري و محمد رواس قلعه جي، نشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٣٩٩هـ.
٤١. طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت.
٤٢. الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ.
٤٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر: دار ابن القيم، الدمام، ط٢/١٤١٤هـ.
٤٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، تحقيق: زكريا علي يوسف، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. العلو للعلي الغفار للذهبي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، نشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١/١٤١٦هـ.
٤٦. فتح الباري لابن حجر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت، ط١٣٧٩هـ.
٤٧. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ.
٤٨. الفوائد لابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٣٩٣هـ.

٤٩. قوت القلوب لأبي طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/٢٦٦هـ-١٤٢٦هـ.
٥٠. المجالسة وجواهر العلم للدينوري، تحقيق: مشهور آل سلمان، نشر: دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.
٥١. المحجة في سير الدلجة لابن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، نشر: الفاروق الحديثة.
٥٢. مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/٢٩٣هـ-١٣٩٣هـ.
٥٣. المدهش لابن الجوزي، تحقيق: مروان قباني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/٥٠٥هـ-١٤٠٥هـ.
٥٤. المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١١١هـ-١٤١١هـ.
٥٥. المسند لأحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١/٢١١هـ-١٤٢١هـ.
٥٦. المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار القبلة.
٥٧. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
٥٨. مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، نشر: دار عالم الفوائد، مكة، ط١/٣٢٢هـ-١٤٣٢هـ.
٥٩. المقاصد الحسنة للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/٤٠٥هـ-١٤٠٥هـ.
٦٠. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل للغز بن عبد السلام، تحقيق: إيباد الطباع، نشر: دار الفكر، دمشق، ط١/٤١٦هـ-١٤١٦هـ.

٦١. المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابري، نشر: الجفان والجابري، قبرص، ط١/١٤٠٧هـ.
٦٢. الموافقات للشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، ط١/١٤١٧هـ.
٦٣. الموطأ لمالك بن أنس، تصحيح وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٦٥. الوابل الصيب لابن القيم، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٥هـ.
٦٦. الوصية لموفق الدين ابن قدامة، تحقيق: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، نشر: دار تيسير السنة، ط١/١٤١١هـ.

هرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٦٩	المقدمة .
٢٧٣	تمهيد: التعريف بالطريق إلى الله تعالى وبيان أهميته.
٢٧٨	المبحث الأول: الوسائل المعينة على الطريق إلى الله تعالى ، ويشتمل علي :
٢٧٩	المطلب الأول: الوسائل المتعلقة بالفكر .
٢٨٧	المطلب الثاني: الوسائل المتعلقة بالنفس .
٢٩٣	المطلب الثالث: الوسائل المتعلقة بالقلب .
٣٠٧	المطلب الرابع: الوسائل المتعلقة بالجوارح .
٣٢٠	المبحث الثاني: معوقات الطريق إلى الله تعالى ، ويشتمل علي :
٣٢١	المطلب الأول : الذنوب والمعاصي عامة .
٣٢٤	المطلب الثاني : ذنوب القلوب خاصة .
٣٢٦	المطلب الثالث الجهل .
٣٢٧	المطلب الرابع : ضعف الهمة .
٣٢٨	المطلب الخامس : الشيطان .
٣٣٠	المطلب السادس : الاغترار بالدنيا والتعلق بها وبأهلها والغفلة عن الله تعالى وما عنده .

الصفحة	الموضوع
٣٣٢	المطلب السابع : فضول الكلام والنظر والطعام والنوم والمخالطة.
٣٣٦	المطلب الثامن : الوقوع في الشبهات والتعرض لمواضع الفتن.
٣٣٨	المطلب التاسع : الصحبة السيئة .
٣٤٠	الخاتمة.
٣٤١	المصادر والمراجع.
٣٤٧	فهرس الموضوعات.